

العنوان:	الرؤية الفنية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي
المؤلف الرئيسي:	الحوامة، بسام عبدالوهاب
مؤلفين آخرين:	عبيدالله، لطفي أحمد بابكر(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2018
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 95
رقم MD:	1344072
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية التربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ، الرؤية الفنية، الأدب الأندلسي، الأسلوب القصصي، الإبداع النثري
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/1344072">http://search.mandumah.com/Record/1344072</a>

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الحوامدة، بسام عبدالوهاب، و عبيدالله، لطفي أحمد بابكر. (2018). الرؤية الفنية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1344072>

إسلوب MLA

الحوامدة، بسام عبدالوهاب، و لطفي أحمد بابكر عبيدالله. "الرؤية الفنية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 2018. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1344072>

## **الفصل الأول: حياة ابن حزم**

**المبحث الأول : حياة ابن حزم ومذهبه وتأثير مذهبه على منهجه وتأليفه .**

**المبحث الثاني: الآراء النقدية بابن حزم**

## ابن حزم الأندلسي (اسمه وجنسيته و أصله ومولده):

تعددت المصادر التي تحدثت عن ابن حزم الأندلسي ، واختلفت في أصله ونسبه ، "ف قيل فيه إن جده الأعلى نصرانيا من قرية منت ليشم ، وهي على مسافة فرسخ ونصف من ولبة من كورة لبلة من غربي الأندلس" <sup>(١)</sup> لكن أغلب المصادر اتفقت على أنه من أصل فارسي ، وذلك ما جاء في كتاب ابن حزم الكبير : " أبو محمد أحمد بن سعيد بن حزم ابن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس . <sup>(٢)</sup>" من خلال النص السابق يظهر أن ابن حزم من أصل فارسي فهو بذلك ليس عربي الأصل ، وهو عربي بالولاء ، لأن جده يزيد كان مولى يزيد بن أبي سفيان ، و مما يؤيد هذا النسب قول ابن حزم الذي يؤكد نسبه الفارسي بقوله <sup>(٣)</sup> :

سما بي ساسان ودارا وبعدهم قريش العلي وأعياصها والغابس

فما أخرجت حرب مراتب سؤدي ولا قعد بي عن ذرا المجد فارس

وهذا ما يؤكد الحميدي في الجذوة حيث يقول : " علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب ، أبو محمد ، أصله من الفرس ، وجده القصي في الأسلام اسمه : يزيد ، مولى ليزيد بن أبي سفيان . <sup>(٤)</sup>"

أما مولده في ليلة الفطر سنة أربع وثمانين وثلاث مئة بقرطبة ، ومات بعد الخمسين وأربع مئة <sup>(٥)</sup>.

## نشأة ابن حزم:

كان والد ابن حزم صاحب مكانة اقتصادية واجتماعية كبيرة ، وكانت له الرئاسة ولأبيه من قبله في الوزارة وتبدير الممالك <sup>(٦)</sup> لذلك كانت طفولته مترفة

( ١ ) فروخ: عمر ، ابن حزم الكبير، نشر دار لبنان للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ص ٤٩ .

( ٢ ) نفس المصدر/ص ٤٩

( ٣ ) عباس : إحسان ، ديوان ابن حزم ، ضمن كتاب : تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة الأولى بيروت ١٩٦٠ م ص ٢٣١ .

( ٤ ) الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ص ٤٤٩ .

( ٥ ) نفس المصدر / ص ٤٥٠

( ٦ ) الحميدي ص ٤٤٩

ومنعمة ، حيث نشأ ابن حزم في قصر أبيه بعيداً عن الحرمان وشظف العيش ، ولقد اعتنى والده بتربيته عناية بالغة ، إذا أخضر له العلماء والأدباء لتعليمه وتنقيفه ، ويروى أنه تلقى تعليمه الأول على يد نساء عالمات فاضلات ، كما يخبر هو بنفسه : " ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تفيل وجهي، وهن علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني مذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة جداً إلا تعرف أسبابهن <sup>(١)</sup>"

ولهذه النشأة المترفة وخاصة على أيدي النساء ، جعلت منه منه إنساناً مرفه الحس رقيق المشاعر ، مما حدا به إلى حب الجمال والالتفات إلى أرق المواضيع ، ألا وهو موضوع الحب الذي هو محور البحث .

ومع ذلك ، ورغم كل هذا المحيط الذي يدعو إلى الفتنة ، فقد نشأ ابن حزم نشأة طاهرة عفيفة ، لأن والده حرص على تربيته تربية صالحة بعيدة عن المعاصي ، وقريبة من الأخلاق الحميدة والكرامة ، حيث يقول ابن حزم : " ومع هذا يعلم الله - وكفى به عليمًا - أنني بريء الساحة، سليم الأديم، صحيح البشرة، نقي الحزمة، وإنني أقسم بالله أجل الأقسام أنني ما حللت منزري على فرج حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومي هذا، والله المحمود على ذلك، والمشكور فيما مضى، والمستعصم فيما بقي . " <sup>(٢)</sup>

ويقول أيضاً : " وكان السبب فيما ذكرته أنني كنت وقت تأجج نار الصبا وشرة الحداثة وتمكن غرارة الفتوة مقصوراً محظراً علي بين رقباء ورقائب؛ فلما ملكت نفسي وعقلت

صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذي رضي الله عنه، وكان أبو علي المذكور عاقلاً عاملاً، ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح في الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة،

( ١ ) الطوق ص ٥٠  
( ٢ ) نفس المصدر السابق/ ص ١٢٢-١٢٣

وأحسبه كان حضوراً لأنه لم تكن له امرأة قط، وما رأيت مثله جملة علماء وعملاً ودينياً وورعاً، فنفعني الله به كثيراً وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي ."<sup>(١)</sup>

رغم كل ما سبق لم تكن تلك الحياة المرفهة والمنعمة حبر عثرة في وجه ابن حزم في نهل العلم والأدب ، فقد كان مثقفاً حافظاً لكتاب الله ، وعالماً به ، ومطلعاً على علوم السابقين ، وقد صحبه أبوه لمجالس العلماء والفقهاء ، وكان ذلك قبل بلوغ السادسة عشرة من عمره ، فمنها عندما بلغ سن الثانية عشرة من عمره ، صحبه والده إلى مجلس المظفر ، وهذا ما ورد في كتاب بغية المتلمس " أخبرني غير واحد عن شريح بن محمد، عن أبي محمد بن حزم، أنه سمع أبا العلاء صاعد بن الحسن ينشد هذه القصيدة بين يدي المظفر في يوم عيد الفطر سنة ست وتسعين وثلاثمائة. قال أبو محمد: وهو أول يوم وصلت فيه إلى حضرة المظفر ، ولما رأيته أبو العلاء استحسناها ، و أصغى إليها ، وكتبها إلي بخطه وأنفذها إلي "<sup>(٢)</sup> وفي ذلك يقول في قصيدته المشهورة في المظفر أبي مروان عبد الملك المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر ، وهو الذي ولي بعد أبيه ، أولها : <sup>(٣)</sup>

**إليك حدوت ناجية الركاب      محملة أمانى كالهضاب**  
**وبعت ملوك أهل طراً      بواحد لها وسيدها اللباب**

وهناك بعض الروايات التي تبين جهل ابن حزم في بعض العلوم ، ومنها ما ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ، حيث قال : " إن أبا محمد بن حزم ولد بقرطبة ، وأقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ست وعشرين سنة وقال : إني بلغت هذه السن وأنا لا أدري كيف أجبر " صلاة من الصلوات "<sup>(٤)</sup> ولكن الجدير بالذكر أنه لا يستقيم تأكيد هذه الرواية وتصديقها ، وذلك لكون أن ابن حزم كانت حياته منذ صغره ، هي حضور لمجالس العلماء والأدباء و أخذ العلم والاحاديث منهم ، وكل ذلك قبل وصول ابن حزم لسن السادسة عشرة من عمره ، أضف إلى ذلك كله أن ابن حزم عندما تسلم منصب الوزارة في عهد المستظهر عبد الرحمن، كان عمره ثلاثين سنة وليس ستة وعشرين عاماً .

(١) نفس المصدر السابق/الصفحة نفسها  
(٢) الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري القاهرة ط ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٤١٥ .  
(٣) المصدر نفسه / ص ٤١٥  
(٤) ياقوت: أبو عبد الله ياقوت الملقب بشهاب الدين ، معجم الأدباء ، نشر مطبعة دار المأمون ، الجزء ١٢ ، الطبعة الأخيرة ص ٢٤٠ - ٢٤١

## علم ابن حزم وأساتذته وطلابه ومصنفاته :

### تمهيد :

كان اهتمام الخلفاء الأميون في الأندلس بالعلم اهتماما كبيرا ، فأسسوا المكتبات الكبيرة ، وقاموا بنقل علوم المشرق إلى الأندلس كانت الحياة الحضارية في بلاد الأندلس في القرن الخامس الهجري مزدهرة أيما ازدهار ، فتقدمت العلوم والآداب وبلغت درجة عالية من النهضة ، أصبحت تنافس الشرق في الحضارة أو تقدمت عليه ، وقد ساعد على ذلك الاحتكاك الحضاري المباشر لبلاد الغرب، و انتشار الكتب وصناعة الورق في الأندلس فكان الوراقون ينسخون المؤلفات فانتشرت في الأندلس مصانع الورق، وكان هناك تنافس بين المدن في إنتاج الورق ومن بين المدن المنتجة غرناطة وبلنسية<sup>(١)</sup>

ومن الأسباب طبيعة تلك البلاد الجميلة ، فتوافرت كل أسباب الإبداع والازدهار ، فظهر عدد كبير من العلماء والأدباء في شتى العلوم في بلاد الأندلس ، فكان الشعراء

والخطباء والفلكيون والأطباء والفلاسفة ... وكان من بين هؤلاء العلماء والأدباء ابن حزم الأندلسي الذي يعد من أبرز العلماء في تلك الفترة ، وقد تحدث عن تلك النهضة الدكتور فايز القيسي في كتابه " أدب الرسائل في بلاد الأندلس" حيث قال : ازدهرت الحضارة العربية في بلاد الأندلس في القرن الخامس الهجري ازدهارا عظيما ، ونهضت العلوم والآداب نهضة بلغت بها أقصى درجات ازدهارها في تاريخ الأندلس الإسلامي ، على الرغم مما شهده الأندلس في هذا القرن من تفكك وانحلال سياسي واجتماعي شامل"<sup>(٢)</sup>.

### علم ابن حزم:

تولى ابن حزم مناصب سياسية كبيرة في بلاد الأندلس ، فقد كان وزيرا لعبد الرحمن المستظهر بالله ، ابن هشام بن عبد الجبار ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك ، لكن ابن حزم نبذ هذه المناصب وأقبل على العلم والدراسة ، حيث أصبح موسوعة علمية كبيرة ، وذلك ما شهد له به كل من حوله سواء من أيده أو خصمه ، فكان جامعا للعلوم بأنواعها واختلافها ، فهو الفيلسوف والمحدث والفقيه والشاعر

(١) - الحجى: عبدالرحمن، الكتب والمكتبات في الأندلس ص ٣٦١ مجلة كلية الدراسات الإسلامية العدد الرابع، بغداد ١٩٧٢.  
(٢) ( القيسي :فايز ، أدب الرسائل في بلاد الأندلس في القرن الخامس الهجري ، دار البشير ، عمان ، الأردن الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ص ٥١

والأديب ... ففي مجال الفلسفة كان رائداً وعالماً كبيراً ، وعني به عناية كبيرة حتى أنه ألف في ذلك كتاباً سماه : "كتاب التقريب لحدود المنطق ، وفيه يخالف أرسطو بل يجعله مخطئاً ، وذلك ما ذكر في معجم الأدباء ، حيث يصف ابن حزم وقدرته واتساع علمه في مجال الفلسفة حيث يقول : " بسط فيه القول على تبين طرق المعارف ، واستعمل فيه مثلاً فقهية وجوامع شرعية ، وخالف أرسطاليس واضع هذا العلم في بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتبه ، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بين السقط " (١)

وتأتي مكانة ابن الحزم العلمية من كونه طلب العلم لكونه محباً للعلم ، لا حاجة مادية ، فهو كثير المال عظيم الجاه ، وذلك لما عرف عن مكانته الاجتماعية ولاقتصادية ، ويتضح ذلك في نقاشه مع الباجي ورده عليه حيث قال " أنا أعظم منك همة في طلب العلم ؛ لأنك طلبته وأنت معان عليه ، تسهر بمشكاة الذهب ، وطلبتة وأنا أسهر بقنديل بئس السوق ، فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك ، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي ، و أنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته ، فلم أرجُ به إلا علوّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة ؛ فأفحمه " (٢) ففي هذا الشاهد دليل على قدرة ابن حزم على إقناع خصمه ، ودحض حجته ، فهو صاحب الحديث والفقه والجدل ، كما يقول المقرئ " كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل ، ولكه كتب كثيرة في المنطق "

وهو المؤرخ حيث أن لابن حزم العديد من الكتب التاريخية ، فله جمهرة أنساب العرب وجوامع السيرة وأسماء الصحابة والرواة ، وأسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم ، الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والكلام في الإمامة والمفاضلة أو الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة ... وهو يتحرى الدقة في نقل الأخبار ، وصاحب النظرة الثاقبة ، وقد تحدث عن ذلك الدكتور عمر فروخ في كتابه "ابن حزم الكبير " مبيناً دقة ابن حزم في نقل الأخبار وصدقه وأمانته ، إذ يقول : " وابن حزم في جميع هذه الكتب "راوية " يجمع بين الأخبار في سلك يوافق مذهبه الظاهري من إثبات الفضل لأفراد الناس الذين الذين وافقت حياتهم ما نصّ

(١) معجم الأدباء ٢٣٨

(٢) المقرئ ، أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م الجزء ٢ ص ٧٧



عليه الدين ، ووافقت أعمالهم ما كان عليه السلف . وليس في هذه الآثار التاريخية تعانق القصص ولا منطق البحث ، وإن كان فيها كلها ثروة من الحقائق والأحداث ... وابن حزم في كل ذلك يتحرى الأمانة في النقل والدقة في العرض والصدق في إيجاز المغزى من تلك الأحداث .." (١)

لم تقف حدود الثقافة والعلم عند ابن حزم فقط في مجال الفلسفة والعلوم ، بل تجاوزت ذلك إلى علوم متنوعة حسب ما كانت عليه بلاد الأندلس من تقدم حضاري وعلمي ، و وصل ابن حزم إلى مكانة علمية كبيرة تحدث عنها الدكتور إحسان عباس : " من العسير أن يصور الدارس مدى ثقافة ابن حزم لتشعب هذه الثقافة وشمولها لجميع أنواع المعرفة في عصره - ماعدا الحساب والهندسة - وهذا هو الجانب المدهش حقًا : فهو متعمق للفقه والحديث ، عارف بآراء أهل المذاهب الأخرى ، مطلع على كتب أهل الديان يناقش التوراة والإنجيل مناقشة تفصيلية ، ويجمع إلى ذلك كله اطلاعًا واسعًا في اللغة والنحو والأدب والتاريخ ، وقد قرأ كثيرا من مؤلفات أهل بلده في هذه العلوم ، كما أنه درس الفلسفة والمنطق والفلك .." (٢)

**شيوخه ودراسته :**

كان أول سماع ابن حزم من قبل الأربعمئة بقليل ، في سنة (٣٩٩هـ) على شيوخه الكبير أبي عمر أحمد بن محمد الجسور<sup>(٣)</sup>، وقد سمع على كثير من غير ابن الجسور منهم القاضي يونس بن عبد الله<sup>(٤)</sup> وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري (ت. ٤١٠هـ) وقد قرأ عليه الحديث<sup>(٥)</sup>، وأبو بكر حماد بن أحمد القاضي ..وأبو سعيد الفتى الجعفري ، وقرأ عليه الأدب والشعر. (٦)

أبو عمر أحمد بن الحسين ، ويحيى بن مسعود بن وجه الجنة ظن ويوسف بن عبد الله القاضي ، ومحمد بن سعيد ، وعبد الله بن ربيع التميمي ، وعبد الله بن محمد بن عثمان ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد ، وعبد الله بن يوسف

(١) فروخ : عمر ، ابن حزم الكبير ، دار لبنان للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ١٠٠ - ١٠١

(٢) عباس : إحسان تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ٣١٤

(٣) الحميدي : الجذوة ١٠٧ ، ٣٠٨

(٤) ابن بشكوال : الصلة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، الطبعة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م الجزء ٢ - ص ٦٨٤

(٥) المصدر السابق ٢ - ٤١٥

(٦) ياقوت : معجم الأدباء ١٢ - ٢٤٢

نامي<sup>(١)</sup> ، و قد قرأ على أبي عبد بن دحنون<sup>(٢)</sup>، كما قرأ على علي بن سعيد العبدي من أهل جزيرة ميورقة<sup>(٣)</sup>

ممن سمع منهم الوزير أبو عبده حسان بن مالك اللغوي<sup>(٤)</sup>، ومنهم محمد بن عبد الرحمن الكنساني من أهل مالقة<sup>(٥)</sup>، وقد أخذ المنطق على محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني<sup>(٦)</sup> وأحمد بن محمد بن عبد الوارث<sup>(٧)</sup>، ومن شيوخه البارزين البارزين مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار ، وعنه أخذ بعض الآراء الفقهية ، وربما أخذ اتجاهه إلى القول بالظاهر<sup>(٨)</sup>.

من أساتذته في التاريخ "علم الخبر" والده أحمد بن سعيد ، الذي كان يقص عليه أحداث الدولة العامرية<sup>(٩)</sup> والقاضي أبو الوليد عبد الله بن يوسف بن القرصي ، وابن الدلائي "العذري" وابن الجسور أيضا.

ممن قرأ عليهم الحديث أحمد بن القاسم بن أصبغ ، وأحمد بن عمر بن أنس وأحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي أبو عمر الفقيه المحدث وابن دراج القسطلي<sup>(١٠)</sup>.

### غربة ابن حزم :

تغرب ابن حزم قسرا عن مسقط رأسه ، وكانت غربته بسبب الأحوال السياسية التي حدثت في عصره ، فسجن ونفي ، وذلك ما تحدث عنه الدكتور عبد الحليم عويس بقوله : "كانت رحلات ابن حزم سياسية اضطرارية ويمكن تسميتها "بالهجرات" الإجبارية المصحوبة بالألم والحسرة ، ولم يتمن ابن حزم الخروج من قرطبة إلا ليزور المشرق ، حيث كانت بغداد قبلة العلوم ، وكعبة الفكر الإسلامي ، يقول ابن حزم مصورا هذا الأمل<sup>(١١)</sup> :

**ولي نحو بغداد وأكناف العراق صباية ولاغرو أن يستوحش الكلف الصب**

(١) المصدر السابق/١٢/٢٤٢

(٢) الحميدي ١٢٩

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٠-٢٨١

(٤) المصدر السابق ص ٤٩

(٥) الحميدي : الجذوة ٢٣٥، ٢٤٣

(٦) المصدر السابق ١٢٦، ٢٤١

(٧) المصدر السابق ٢٥٤، ٢٥٥

(٨) المصدر السابق ١١٣

(٩) ابن بسام : الذخيرة ١-١١٤

(١٠) مكى: الطاهر أحمد ، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ، ربيع الأول ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ص ٨١-٨٢

(١١) عويس : عبد الحليم ، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث الحضاري والتاريخي . ط ٢ . القاهرة ، الزهراء العربي للإعلان ١٩٨٨ م. ص ٧١

## هناك تدري أن للبعد غصة وأن كساد العلم آفته القرب

توالت الفتن والحداث على مدينة قرطبة ، فاصطدم ابن حزم بالقائد الصقلي فسجنه وصادر أمواله ، وتمزقت بقايا الدولة العامرية ، وكان على البقايا الانتقام والمقاومة والمناهضة ، وكان ابن حزم من بين من قاوم وناهض ، إلا أن هذه المناهضة فشلت ، فجلبت لابن حزم المصائب ، و كانت أسوأ الأحداث هو : فتنة البربر التي جرّت الولايات على المدينة من نهب وسلب وقتل، وانتهكت الحرمات ، و دمرت البيوت ، ومن بين البيوت بيت ابن حزم ، فما كان من ابن حزم إلا أن يهاجر إلى المرية في ١ محرم سنة ٤٠٤ هـ ، بقيت الحياة هادئة لمدة ثلاث سنوات ، حتى وقع ابن حزم في المرية في الاعتقال بتهمة التآمر ، فنفي إلى قرية في مقاطعة مالقة<sup>(١)</sup>، وقد ذكر ابن حزم صراحة أسباب رحيله عن بلاده ، ومن خلال كتاب طوق طوق الحمامة " ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة ونزولهم فيها وتقلبتي بي الأمور إلى الخروج وسكني مدينة المرية "<sup>(٢)</sup> .

وفي كل ذلك كان شعور ابن حزم أنه المطارّد المبعد عن الوطن والأهل والولد ، الخائف على نفسه من الظلم والعدوان ، وهو يعلن ذلك ولا يستتره<sup>(٣)</sup> .

أما عن هجرته في النصف الآخر من حياته ، بعد أن نبذ طريق الوزارة تفرغ للعلوم – فيوضح لنا أسبابها معاصره ابن حيان في قوله : " كان ابن حزم يحمل علمه ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه ، وبذل بأسراره ، فلم يك يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ، ولا يرقه بتدريج، فنفر عنه القلوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته فمالوا على بغضه ورد أقواله فأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، وطفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم "<sup>(٤)</sup> .

وقد ذكر الدكتور عبد الحليم عويس هذه الفترة بقوله : " وفي هذا الدور من رحلاته لجأ ابن حزم مرة أخرى إلى الأقاليم الشرقية الأندلسية بحكم طابعها العامري وقربها من الأموية ، فذهب أول أمره إلى شاطية إحدى مدن إمارة بلنسية التي ذهب إليها المرتضى ثم انتقل بين مدن الأندلس ، فزار قلعة البونت ، ولجأ إلى

(١) عباس، إحسان : رسائل ابن حزم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ج ١ ط ٢، ١٩٨٧م ، ص ٣٤٥-٣٤٦

(٢) الطوق ١١٥

(٣) ابن الأبار ، عبد الله بن محمد ، الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ط ١٩٦٣م ، ٢٨-٢٠

(٤) عويس ، عبد الحليم: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث الحضاري والتاريخي ص ٧٣-٧٤ ط ٢، ١٩٨٨

ميورقة في حماية واليها أحمد بن رشيق أبي العباس الذي كان يميل إلى الحديث والفقهاء<sup>(١)</sup>، وقد وصفه الحميدي بقوله : "ما رأينا من أهل الرئاسة من يجري مجراه مع هيبة مفرطة وتواضع عرف به مع القدرة توفي بعد ٤٤٠ هـ".

### أثر رحلات ابن حزم :

رغم المصائب والكوارث التي نزلت بابن حزم ، إلا أنه بقي محبا للعلم وطالبا له ، بل يمكن القول أن هذه المصائب غيرت من فكره ، وطبعت مزاجه ونفسيته بطابع حاد وخاصة في مناظراته و جداله ، وكل ذلك يدل على براعة لك الرجل وشدة ذكائه .

فهذه المصائب والفتن والمؤامرات التي حيكّت ضده فإن إنتاجه العلمي والأدبي لم يتوقف ، بل بقي مدافعا عن آرائه ، وكان يزداد دفاعا كلما وقع في مصيبة .

ذكر الدكتور إحسان عباس في كتابه "رسائل ابن حزم " قولا يؤيد ما ذكر سابقا من أن هذه الفتن والمؤامرات ، لم تثن ابن حزم عن التأليف والإنتاج العلمي ، وذلك نقلا عن ابن حزم يقول : " وأحدثك في ذلك بما نرجو أن ينقطع به قارئه إن شاء الله ، وذلك أنني كنت معتقلا في الملقب المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر في مطبق . وكنت لا آمن قتله لأنه كان سلطانا جائرا ظالما عاديا قليل الدين كثير الجهل غير مأمون ولا مثبت ، وكان ذنبنا عنده ، صحبتنا للمستظهر رضي الله عنه . وكان العيارون قد انتزوا بهذا الخاسر على المستظهر فقتله ، واستولى علي الأمر واعتقلنا حيث ذكرنا ، وكنت مفكرا في مسألة عويصة من كليات الجمل التي تقع تحتها معان عظيمة كثر فيها الشغب قديما وحديثا في أحكام الديانة ، وهي متصرفة الفروع في جميع<sup>(٢)</sup> .

أبواب الفقه ن فطالت فكرتي فيها أياما وليالي ، إلى أن لاح لي وجه البيان فيها ، وصح لي وحق لي الحق يقينا في حكمها وانبلج ، وأنا في الحال الذي وصفت . فبالله الذي لا إله إلا هو الخالق الأول المدبر الأمور كلها أقسم بالذي لا يجوز القسم بسواه ، لقد كان سروري يومئذ و أنا في تلك الحال بظفري بالحق فيما كنت مشغول البال به ، و إشراف الصواب لي ، أشد من سروري بإطلاق مما كنت فيه . وما ألفنا كتابنا

(١) عويس : عبد الحليم ص ٧٢

(٢) عباس ، إحسان : رسائل ابن حزم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ج ١ ط ٢ ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٤٥-٣٤٦

هذا وكثيرا مما ألفنا إلا ونحن مغربون مبعدون عن الوطن والأهل والولد ،مخافون من ذلك في أنفسنا ظلما وعدوانا "(١).

لقد تابع في المرية عند خروجه الأول من قرطبة من تحصيل العلم الذي فاتته ما لم يستطع أن يحصله في حياته المحدودة الأولى....

يحدثنا ابن حزم انه كان متصلا في المرية بطبيب إسرائيلي هو إسماعيل بن يونس كان يجلس في دكانه .... ويبدو أنه كانت بينهما مناقشات وجهت نظر ابن حزم إلى دراسة الملل والنحل. ويرجح الدكتور طه الحاجري أن ابن حزم التقى واسماعيل بن النخيلة لأول مرة في المرية أيضا ، على أساس أنه ناظره في سنة (٤٠٤هـ) وابن حزم كان في هذه السنة في المرية . لكن من المؤكد ان ابن حزم عاش جزءا من هذه السنة أيضا في قرطبة . قبل أن يهاجر هجرته الأولى .

في شاطبة بدأ يضع تخطيطا لكتابه الموسوعي "الفصل" ، ويكتب بعض فصوله ، كما أنه كتب بعض كتبه الأخرى . (٢).

### أخلاقه :

أبرز أخلاق ابن حزم صفتان تتفرع عنهما كل سلوكياته ، ما قبله الناس، وما لم يقبلوه وهما : وفاؤه وتدينه

وهو يقول لنا عن وفائه : " ولقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت إلي بلقية واحدة ووهبني من المحافظة لمن يتذمم مني ولو بمحادثة ساعة حظا ، أنا شاكر له وحامد ، ومنه مستمد ومستزيد . وما من شيء أثقل علي من الغدر ، ولعمري ما سمعت نفسي قط في الفكرة في إضرار من بيني وبينه أقل ذمام ، وإن عظمت جريرته وكثرت إلي ذنوبه ، ولقد دهمني من هذا غير قليل فما جزيت على السوء إلا بالحسنى . والحمد لله على ذلك كثيرا " (٣)

ويقول : " كذلك وأنا في السلو والتوفي فما نسيت ودًا قط وإن حنيني إلى كل عهد تقدم لي ليغصني بالطعام ويشرقني بالماء، وقد استراح من لم تكن هذه صفته. وما مللت شيئا قط بعد معرفتي به، ولا أسرعت إلى الأنس مذكنت، لا أقول الألاف

(١) الطوق ٨٠

(٢) الطوق ٢٥

(٣) ياقوت :معجم الأديباءص ٢٤٩

والإخوان وحدهم، لكن في كل ما يستعمل الإنسان من ملبوس ومركوب ومطعم وغير ذلك، وما انتفعت بعيش ولا فارقتي الإطراق والانغلاق.."<sup>(١)</sup>

### وفاته :

أمضى ابن حزم في قريته " منت ليشم " سنواته الأخيرة التي تقترب من عقدين " يبث علمه فيمن ينتابه بباديته تلك ، من عامة المقتبسين منه من أصاغر الطلبة ، الذين لا يخشون فيه الملامة ، يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف حتى كمل في مصنفاته في فنون العلم وقر بعير "<sup>(٢)</sup> .

في ليلة الاثنين ٢٨ من شعبان سنة (٤٥٦هـ) (١٥ يوليو ١٠٦٤ م) وبعد حياة حافلة بالإنتاج العلمي ، والجدال في الحق، والصدق في الإيمان توفي ابن حزم ، بعد عمر يبلغ اثنتين وسبعين سنة، و كأنما كان – رحمه الله - يرثي نفسه حين قال <sup>(٣)</sup>:

**فيا رب محزون هناك وضاحك وكم أدمع تذري وخذ محدد  
عفا الله عني يوم أرحل ظاعنا عن الهل محمولا إلى ضيق ملحد  
مؤلفاته وآثاره :**

ألف ابن الحزم الكثير من المصنفات والكتب ، وكانت هذه الكتب والمصنفات كثيرة في العدد والموضوعات ، فله في الأدب سواء في النثر أو الشعر ، والفلسفة والفقه وأصول الفقه والتاريخ والهندسة والطب وغيرها من العلوم ، و قد أخبر عنه صاعد اللغوي بقوله : " كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة بعلوم الإسلام ، و أوسعهم على توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار .. أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة . "<sup>(٤)</sup>

### مقتطفات من مؤلفاته:

هذه بعض المؤلفات التي ألفها ابن حزم كما ذكرها الدكتور عمر فروخ في كتابه ابن حزم الكبير ، وهي كالتالي:

(١) ياقوت معجم الأدياء ص ٢٥٣

(٢) الصلة ص ٦٠٥

(٣) فروخ ص ٦٠

(٤) فروخ ص ٦١ - ٦٢

## في مجال الأدب :

- أشعار متفرقة في كتبه .
- طوق الحمامة في الألفة والآلاف .

## في التاريخ :

- نقط العروس في تواريخ الخلفاء .
- ذكر أوقات الأمراء وأيامهم في الأندلس .
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها .
- جمهرة الأنساب ( أنساب العرب ) .
- نسب البربر (الذهبي )
- أسواق العرب .
- فهرسة الشيخ الفقيه الحافظ ... ابن حزم .
- كتاب مختصر علل الحديث • (الذهبي) .
- الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها (الذهبي).
- كتاب في شرح حديث الموطأ والكلام على مسأله .
- المفاضلة بين الصحابة .
- أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد منهم من الأحاديث .
- كتاب مختصر علل الحديث • (الذهبي) .
- الناسخ والمنسوخ .

## في أصول الفقه :

- كتاب في أسماء الله الحسنى .
- النبذة الكافية في أصول أحكام الدين .
- مسائل في أصول الفقه .
- كتاب الأصول والفروع من قول الأئمة <sup>(١)</sup> .
- الترشيده في الرد على كتاب الفريد لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات (الذهبي)
- إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل .

(١) فروخ : عمر ، ابن حزم الكبير ، دار لبنان للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٥٩-٦٠

- رسالة في الإمامة (كتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل .
- البيان عن حقيقة الإيمان .
- رسالة الدرة في تدقيق الكلام فيما يلزم الإنسان اعتقاده والقول به في الملة والنحلة باختصار وبيان.
- التقريب في حدود الكلام .
- رسالة التوفيق على شرح النجاة باختصار الطريق .
- رسالة في أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس .
- مراتب الإجماع ( كتاب منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يُعْرَف فيه باختلاف<sup>(١)</sup> .
- في فروع الفقه :
- الإيصال الحافظ لجمل لشرائع الإسلام (الذهبي) .
- الإحكام لأصول الأحكام .
- المحلى (في الفقه) بالآثار في شرح المحلى بالاختصار .
- الإيصال (الاتصال) إلى فهم الخصال = كتاب الإيصال إلى فهم معرفة كتاب الخصال (في فروع المالكية) .
- اختلاف الفقهاء الخمسة (مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وداود الظاهري) (الذهبي) .
- قسمة الخمس (في الرد على إسماعيل القاضي) (الذهبي) .
- كتاب الفرائض (الذهبي) .
- رسالة في مسألة الكلب<sup>(٢)</sup> .
- في الفلسفة :
- رسالة في مراتب العلوم = .... وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض .
- التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية .

(١) الطوق ص ٥  
(٢) فروخ : عمر ، ابن حزم الكبير ، ص ٦١



## في الأخلاق :

- رسالة في مداواة النفوس و تهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل = كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس ( وقد طبع بعناوين مختلفة أيضا ) .

- فصل في معرفة النفس بغيرها و جهلها بذاتها .

- رسالة التلخيص لوجوه التخليص = كتاب التخليص والتلخيص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليه من الكتاب ولا الحديث .

- فصل : هل للموت ألم أم لا ؟<sup>(١)</sup>

وكان لابن حزم كتب في الطب و مؤلفات متفرقة من رسائل و مقالات قصار وفصول محدودة في موضوعاتها

## مذهب ابن حزم (ظاهريته):

### تمهيد :

قبل الحديث عن ظاهرية ابن حزم ، يجب التعريف بالمذهب و نشأته و أسباب ظهوره و انتشاره، وخاصة في بلاد الأندلس ، ومن الذين نادوا بهذا المذهب و اتخذوا منه مذهباً لهم .

### المذهب الظاهري :

الظاهر في اللغة : الواضح المنكشف البارز ، والظواهر : أشرف الأرض ، أما الظاهر في اصطلاح الأصوليين : فهو اسم لكل كلام ظهر المراد منه للسامع بنفس صيغته من غير تأمل ، كقوله تعالى : (و أحلّ الله البيع ) ، ( فانكحوا ما طاب لكم ) وضده الخفي : وهو ما لا ينال المراد منه إلا بالطلب كقوله تعالى : ( حرّم الربّا ) ، و يتبين من هذا التعريف أن عماد الظاهر عن الأصوليين : أن يكون اللفظ بحيث يدل على معناه بصيغته من غير توقف على قرينة خارجية ، مع احتمال التخصيص والتأويل وقبول النسخ .<sup>(٢)</sup>

أما ابن حزم فقد نظر لهذا التعريف نظرة خاصة ، فهو من أخفى المصطلحات في كتبه وأكثرها إشكالا ، وذلك راجع إلى أن أبا محمد لم يحرر قصده من الظاهر تحريراً جيداً لوضوحه في ذهنه ، لأنه عماد مذهبه .

(١) فروخ ص ٦٢

(٢) الإدريسي: توفيق بن أحمد الغلبزوري، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها-أعلامها - أصولها - أثرها ، دار ابن حزم ، الطبعة ١ ، ١٤٢٧-٢٠٠٦ م ، ص ٥٤٩

## نشأة المذهب الظاهري وأسباب ظهوره:

كانت بدايات النشأة في المشرق العربي ثم انتقل إلى بلاد الأندلس ، ثورة على المالكية ، وقد أعاد الدكتور عبد الباقي نشأة المذهب إلى الشرق حيث قال : "نشأ المذهب الظاهري في بغداد على يد داود بن علي الأصفهاني أول من نادى به ودعا إليه من أهل السنة . "

أما أسباب ظهور المذهب الظاهري تعود لما يلي كما ذكرها الدكتور عبد الباقي:  
أولاً : الاسراف في استخدام القياس والالتزام به والذي أدى إلى اتساع الشقاق من الفروع والسنن إلى الأصول ، فقد اختلف أصحاب الرأي في التوحيد وصفات الله تعالى عقدرته وفي نعيم أهل الجنة ، وعذاب أهل النار وعذاب القبر وفي اللوح المحفوظ ..

ثانياً : تأثر دواود بالإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) في الأخذ بالنصوص وتعزيزها ، مع كثرة رواية السنة في عصره ؛ مما جعله يتجه للنصوص وحدها ، وذلك لأن الشافعي كان يفسر الشريعة بالنصوص مع الحمل عليها بالقياس الجلي فقط ثالثاً : ازدهار الحركة الباطنية التي تدعو إلى ضرورة وجود إمام مستتر يعلم الناس ما ليس في وسعهم أن يتعلموه من ظاهر الآيات والأحاديث .<sup>(١)</sup>

### الظاهرية قبل ابن حزم :

يعتقد الكثير أن الظاهرية مقترنة بابن حزم فقط في بلاد الأندلس إلا أن الظاهرية وجدت في الأندلس قبل ابن حزم ، ومن مؤسسيها الأوائل في الأندلس كما يذكر الدكتور توفيق الإدريسي :

١ - عبد الله بن قاسم بن هلال القيسي المتوفى سنة ٢٧٢هـ :

تتفق المصادر على أن أول من نشر مبادئ المذهب الظاهري في الأندلس ، وعرف به أهلها ، ونقله إليها من المشرق ، هو عبد الله بن قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران القيسي ، أبو محمد ، أندلسي من أهل قرطبة ، فقيه جليل ، كان من أوائل الظاهريين عامة ، إذا إن المذهب ظهر في منتصف القرن الثالث الهجري وقد كان قبل مالكية بحكم البيئة والنشأة ، وقد التقى بداود الأصفهاني الظاهري في العراق ونقل ظاهريته للأندلس ، ولكن بسبب أغلبية المذهب المالكي كان يميل للمالكية ، ومرة أخرى

(١) عبد الباقي: السيد عبد الباقي، المذهب الظاهري نشأته وتطوره بالمغرب حتى نهاية الموحدين، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ص ١٩١٢٠١٠

للشافعية بحكم تفقه بالمذهب الشافعي ، ولكن في نهاية المطاف استقر على المذهب الظاهري واجتهد في نشره ، ولقد ذكره ابن حزم في قوله : " وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما إلا أبا الحسن بن المفلس والخلال والديباجي ورويم بن أحمد. وقد شاركهم عبد الله في أبي سليمان وصحبته ، توفي رحمه الله سنة اثنتين وسبعين ومائتين " (١)

٢- منذر بن سعيد البلوطي الظاهري المتوفي ٣٥٥هـ :

يعد منذر بن سعيد البلوطي المنافح الحقيقي عن المذهب الظاهري والناشر القوي له في بلاد الأندلس وقد كان عالما وفقها ، وأديبا وخطيبا على المنابر ، صاحب حجة قوية ، حاضر الجواب عند الجدل ، قال عنه ابن الطيلسان في تاريخ فقهاء قرطبة : " كان خطيب الأندلس وبليغها ، مع العلم البارع والمعرفة الكاملة ، والتفنن في العلوم على (٢)

اختلافها ، والدين والورع ... والصدع بالحق في جميع الأمور ، لا يداهن أحدا ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان أعلم الناس باختلاف العلماء " وقد أثنى عليه كذلك ابن حزم فقال عنه : " و كان أخطب الناس وأعلمهم بكل فن ، وأروعهم ، وأكثرهم هزلا ودعابة " (٣).

إذن لم تكن الظاهرية مقرونة بابن حزم فقط ، فقد تبين مما سبق أن الظاهرية وجدت قبل ابن حزم ، ولكن لم تصل إلى المعنى الحقيقي لها إلا على يد ابن حزم نفسه .

### ظاهرية ابن حزم :

كان الفقه المالكي هو السائد أو الغالب في بلاد الاندلس ، وربما عاد ذلك لمواقف سياسية ، منها موقف بني أمية الذي اتبع المذهب المالكي وجعله المذهب الرسمي ، وقد وصل المذهب في ذلك العصر إلى درجة كبيرة من الجمود والتحجر ، فقد أوصل فقهاء المذهب المالكي إلى درجة غير ملائمة لحاجات المجتمع الجديد في الأندلس الذي كان قد أخذ بأسباب التحضر ، ومن ناحية أخرى الاضطرابات

(١) الإدريسي ص ١٩١-١٩٢

(٢) المصدر السابق ص ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤

(٣) عباس ، إحسان : رسائل ابن حزم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ج ١ ط ٢ ، ١٩٨٧م ص ٦٨.

السياسية التي شملت بلاد الأندلس ، فكان لابد من من وجود مذاهب أخرى تصحح الأوضاع و تبتعد عن الجمود والتحجر .

ظهرت خلال القرن الرابع ومطلع الخامس مدرسة الحديث بالأندلس على يد بقي بن مخلد ، وابن وضاح والخشني ، و مما نادت به هذه المدرسة هو الرجوع بالشرع إلى نبعه الأول وهو الكتاب والسنة " وأن يعود للاجتهد دوره الأساسي في الشرع بعبارة أخرى يمكن أن نطلق على هذه المدرسة ثورة على التقليد الفقهي الذي حصر الاجتهاد في أقوال شيوخ المذهب "(١)

من خلال ما سبق وبتأثير ظروف فكرية وتاريخية ؛ اختار ابن حزم الظاهرية ، إذا سيطرت الفوضى في بلاد الأندلس وانتشر الطغيان والظلم والفساد والانحلال ، وكان الفقهاء مناصرين ومؤيدين لأمراء عصر الطوائف الذين كانوا يغدقون على الفقهاء بالأموال والمناصب ويستغلون مكانتهم في المجتمع آنذاك .

فظاهرية ابن حزم كما يقول الدكتور عبد الحليم عويس : " هي ردة الفعل لهذه الوصولية التي سادت الطوائف ، وكان ابن حزم أصلح من تظهر على يديه حركة رد الفعل في شكل ثابت قوي ، إذ كان رجلا عالما بعلمه ، واسع الاطلاع ، يطلب العلم لله ، ويضع دينه فوق كل مصلحة ."(٢)

لم يذكر الفقهاء الذين نادوا بالمذهب الظاهري تعريفا واضحا أو محددا للظاهرية ، حتى ان ابن حزم نفسه لم يذكر لنا تعريفا اصطلاحيا محددا لها ، وهو الذي بين لنا خصائص الظاهرية ومعالم منهجه فيها ، وليس في موسوعته الظاهرية " المحلى" ولا في كتبه الأخرى تعرض مباشرة لمعنى الظاهرية (٣).

بالرغم من عدم التصريح بتعريف محدد للظاهرية ، إلا أنه يمكن الوصول إلى معنى الظاهرية ولو بشكل تقريبي ، وذلك من خلال ما ورد من نصوص عند ابن حزم ، ويقترب الوصول لمعنى الظاهرية بوضوح من خلال قول ابن حزم : " اعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لا سر تحته كله برهان لا مسامحة فيه ... وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فهي دعاوى ومخارق ، واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتف من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا اطلع أخص الناس به

(١) الإدريسي ص ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤

(٢) عويس ص ٨٨

(٣) يفوت: سالم ، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ١٩٨٦ ، م ١ ص ١٠٧

من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ولو كتمهم شيئاً لما بلغ كما أمر "(١).

في مكان آخر يقول ابن حزم : " إن كلام الله تعالى واجب أن يحمل على ظاهره ، ولا يحال عن ظاهره البتة إلا أن يأتي نص أو إجماع أو ضرورة حسّ على أن شيئاً منه ليس على ظاهره "(٢)

### أثر مذهب ابن حزم في منهجه وتأليفه :

تتعدد ثقافات ابن حزم واطلاعاته الفكرية ، وقد خاض في كثير من مجالات المعرفة ، من أدب وشعر و لغة ونحو ومنطق وفلسفة وفقه وأصول وتاريخ وجدل ، فنحن يمكن أن نصفه عالم نفس وجدليا ومنطقيا ومتكلما وشاعرا و... ولكن السمة البارزة في منهجه انه كان صاحب منهج عقلي وتغلب عليه النزعة الظاهرية وهذا ما ذكره الدكتور عويس قائلا : " امتاز ابن حزم باتجاهاته وجهوده الكبيرة في نواح متعددة من الفكر ... إلا أن ابن حزم ، في ذلك كله كانت تغلب عليه النزعة الظاهرية ، بحيث يمكننا القول أن ابن حزم لم ينس ظاهريته .. "(٣)

### أثر مذهب ابن حزم على العلوم العربية :

كانت لابن حزم جهود متفرقة في مجالات اللغة والأدب والنقد الأدبي...وقد طبق في هذه المجالات ظاهريته على نحو ما طبقها في الفقه والأصول ... وغيرها من مجالات الفكر .

فابن حزم الذي لم ينس ظاهريته ويأخذ الواقع على ما هو عليه ، ويقبل الحقيقة دائما على ما هي ظاهرها ، فقد روى لنا المقرئ في " نفح الطيب " أن ابن حزم التقى يوما - وهو بصحبة صديق له - بوجه حسن ، فقال لصديقه : هذه صورة حسنة! وقال له لصاحبه : " لم نر إلا الوجه ، فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك " فقال ابن حزم ارتجالا (٤):

وذي عذل فيمن سباني حسنه يطيل ملامي في الهو ويقول

(١) المصدر السابق ص ٩٠  
(٢) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد : الفصل في الملل والأهواء والنحل ،تح محمد إبراهيم نصر - عبد الرحمن عميرة ،دار الجيل ، بيروت ط٢/ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ج٢ ص٢٧٤

(٣) عويس : ص ٨٥  
(٤) ابن حزم :الفصل في الملل ج٢ ص ٣٠٠

فقلت له أسرفت في اللوم فاتتد فعندي رد لو أشياء طویل

ألم تر أني ظاهري وأنني على ما أرى ، حتى يقوم دليل

من خلال المنهج الظاهري التربوي الملتزم كان لابن حزم في الشعر موقف محدد ، فهو يحبذ الشعر الذي فيه الحكمة والخير مما ينبه النفس وينشطها ويدعو المرء إلى صالح القول والعمل وذلك كشعر حسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ... ونحو ذلك. وهو يحذر من أربعة أضرب من الشعر هي : الغزل والتصعلك والغربة والهجاء ، ثم صنفان من الشعر لا ينهى عنهما نهيا تاما نهيا تاما ، ولا يحض عليهما بل هما عنده من المباح المكروه ، وهما المدح والثناء ، وما يراه ابن حزم من الإكثار في اللغة يراه أيضا في الشعر : "فإن الإكثار من رواية الشعر فهو كسب غير محمود ، لأنه من طريق الباطل والفضول لا من طريق الحق والفضائل" (١)

كان أغلب شعر ابن حزم في الغزل العفيف ، ويمتزج أحيانا بالحكمة و بعض الرثاء والوصف والإخبار

، كما أنه كان يقول الشعر روية وارتجالا ، بعيد عن التكلف والصنعة واضحا ، لا وقوف على الأطلال

ولا إكثار من أغراض القصيدة التقليدي القديم ، إلا أنه أحيانا كان يقول الشعر الذي فيه صنعة وتكلف كقوله :

وذي عذل في من سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول:

أمن أجل وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم أنت عليل

فقلت له (٢):

أسرفت في اللوم فاتتد فعندي رد لو أشياء طویل

ألم تر أني ظاهري وأنني على ما أرى ، حتى يقوم

لم يأخذ ابن حزم من شعر غيره إلا القليل جدا ، ولو عُدَّ شعره في كتابه (طوق الحمامة ) بالنسبة لشعر غيره لكان الواضح أن شعره يكاد يطغى على الأشعار

(١) (المقري : "نفح الطيب " ج٦، ص٢١٦-٢١٨

(٢) (ابن حزم الكبير ص٧٣-٧٤

الموجودة في كتاب طوق الحمامة ، ففي كتاب طوق الحمامة يوجد الكثير من شعره ، و أغلبه من قوله ، لذلك تجده يقول في أكثر رسالته: " وفي ذلك أقول شعراً ، منه <sup>(١)</sup> :

### لا تلم من عرض النفس لما ليس يرضي غيره عند المحن

ذلك مثال على اعتماد واستشهاد ابن حزم بشعره فقط على الأغلب ، فهو يستشهد بالشعر من قوله مطبقاً ظاهرية التي من شأنها رفض كل ما هو غير واضح وغير صادق ، والتي ترى الأشياء على ما هي عليها ، لذلك نبذ ابن حزم كل ما هو مزيف وفيه مبالغة وكذب ، فهو يريد نقل الواقع الأندلسي كما هو دون أي زيادة ومبالغة ، فهو لا يؤمن بروايات الأعراب وأخبارهم ، التي تقوم على الخرافة والشط في الخيال ، فهو يقول في طوق الحمامة مؤكداً ما سبق : " والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك ، والاقتصار على ما رأيت أو صح عندي بنقل الثقافات ، ودعني من أخبار الأعراب المتقدمين ، فسبيلهم غير سبيلنا ، وقد كثرت الأخبار عنهم ، وما مذهبي أن أنضي مطية سواي ، ولا أتحملي بحلي مستعار ، والله المستغفر والمستعان لا رب غيره . <sup>(٢)</sup>

لم يقتصر هذا المنهج على الشعر بل امتد إلى البلاغة فقد كانت البلاغة عنده بعيدة عن التقعر والغموض ، واضحة مفهومة لدى الجميع ، دون الحاجة إلى التأويل ، وهذا هو مبدأ الظاهرية . <sup>(٣)</sup>

لذا فإن الدكتور سعيد الأفغاني يرى أن ابن حزم اعتمد في بلاغته على الوضوح والبعد عن التعقيد حيث يقول : " فهو يرى أن البلاغة تتحقق بتوفر شرطين : الوضوح ، والبراءة من الاخلال والتطويل ، قال : " البلاغة ما فهمه العامي كفهم الخاصي .. وملاك ذلك الاختصار لمن يفهم ، والشرح لمن لا يفهم " و " كان بلفظ يتنبه له العامي لأنه لا عهد له بمثل نظمه ومعناه ، واستوعب المراد كله ... وسهل عليه حفظه لقصره وسهولة ألفاظه " <sup>(٤)</sup> "

بما أن ابن حزم لم ينس ظاهرية ، فقد اعتنى ابن حزم عناية كبيرة باللغة بكل فروعها ، فهو حريص جداً في استخدام النحو ، ولا يوغل فيه ، بل يبتعد عن التعمق فيه ، فهو لا يقارن اللغة العربية بلغة أخرى ، فكل لغة نصها وألفاظها الخاصة ، فلا

(١) الطوق ٥

(٢) الطوق ص ١٢٤

(٣) الأفغاني ٤٩

(٤) الأفغاني ، سعيد ، نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، ص ٤٩

يقاس لفظ على آخر ، فهاجم العلل في النحو ، يقول : "إن علم النحو يرجع إلى مقدمات محفوظة عن العرب ، الذين يريد معرفة تفاهمهم للمعاني بلغتهم، و أما العلل فيه ففاسدة جدا " (١)

يعد الدكتور توفيق الإدريسي أن الظاهرية عند ابن حزم هي بمثابة تقديس للنص ، حيث يقول : " وخلص النظر الظاهرية إلى اللغة عند ابن حزم تقوم على تقديس النص ، والخضوع لموجبات لغة العرب في فهم الشرع ، وأن أي خرق للنص اللغوي يعتبر خرقا للنص الشرعي ، فلا ينبغي أن نأخذ من مدلول الكلمة إلا ما أجازته اللغة ، وهو أحد معاني الأخذ بالظاهر عند الظاهرية " (٢)

هذه النظرة للغة على أنها لغة توقيفية ، وترجع إلى السماع ، ومن هنا رفض ابن حزم القياس والتعليل ؛ لأن ذلك يبعدها عن دلالتها الأصلية ، ويؤيد الدكتور عمر فروخ هذا الكلام حيث يقول " بدأت اللغة في البشر ، كما يرى ابن حزم ، بالتوقيف ، أي بتعليم الله تعالى آدم أبا البشر "ألفاظ اللغة" ، والدليل على ذلك قوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها " (٣١:٢، سورة البقرة) ، ولا يقبل ابن حزم أن تكون اللغة اصطلاحا ، أي تواضعا من الناس واتفاقهم على ألفاظها لبراهين يدلي بها ابن حزم " (٣) هكذا كانت ظاهرية ابن حزم شاملة لكل ما أنتج من علوم وفنون ولغة ، ولم تقتصر على علوم الدين ، مما جعل أسلوبه مميزا ، تظهر فيه ظاهريته بشكل واضح أحيانا ، وتكون غير واضحة أحيانا أخرى .

### منهجه في رسالة الطوق ( خطة الرسالة ) :

على الرغم من مؤلفاته الكثيرة والواسعة والتي يكاد أن نقول اتبع فيها منهجا واحدا من وضع أسباب ونتائج ومقدمات إلا أننا نوجه دراستنا لمنهج ابن حزم في رسالته " طوق الحمامة " لأنها تعد النتاج الأدبي الكبير لابن حزم وفيه تظهر أدبيته ، وهذه الرسالة ألقت بناء على رغبة صديق لابن حزم فتظهر خلال مقدماتها منهجية أقرب ما تكون إلى المنهجية الحديثة في التأليف ، لكن ما يهمنا في هذه الرسالة الضوابط التي التزمها ابن حزم في رسالته طوق الحمامة فهو طبق ظاهريته عليها بشكل شبه كلي .

(١) التقريب ٣٤٩ تحقيق عباس  
(٢) الإدريسي ص ٧٤٣  
(٣) فروخ ص ٦٦



## كيف طبق ظاهريته على رسالة طوق الحمامة ؟

تأثر ابن حزم بالزهرة لابن داود : لقد تأثر ابن حزم بابن داود في كتابه الزهرة دون أن يقلده تقليداً ، وذلك يرجع لطبيعة مذهب ابن حزم ، ونفوره من محاكاة الآخرين ،

وهذا ما يؤكد لنا الدكتور إحسان عباس في قوله : "كان ابن حزم يرى في ابن داود إماماً ظاهرياً يستحق التقدير، إماماً يكتب في الحب، دون أن يعبأ بنقد المتمزمتين، ويستطيع في الوقت نفسه أن يتحول بالحب، رغم العذرية والأفلاطونية والصوفية، إلى مستوى إنساني واقعي، وهذا يعجب ابن حزم كثيراً، ويوافق مشاعره ذات المنزع الظاهري، ومن ثم فإنه لا يستطيع أن يتخلص من تأثير ابن داود، حتى لو حاول ذلك، وهذا التأثير قد يكون إيجابياً وقد يكون سلبياً." (١)

لنقل بادئ ذي بدء أن الزهرة يحتوي فصولاً لا تربطها وحدة في المنهج، وأن كل فصل لا يتجاوز رواية شعر متصل بموضوعه، وتعليقات على بعض ذلك الشعر، وأن في بعض تلك التعليقات نظرات ذاتية نافذة؛ هذه المواقف كفيلة باظهار تأثر ابن حزم بكتاب الزهرة، فانهدام المنهج أو اضطرابه أوحى لابن حزم بتتبع منهج دقيق، ورواية الشعر دفعته إلى أن لا يستأنس بالموروث الشعري في موضوع الحب، وتلك النظرات النافذة هي ما استغله ابن حزم على نحو يتفق وطريقته ومنهجه، وتلك النماذج الشعرية هي التي قررت لديه " إنسانية " تجربة الحب سواء أكانت تلك التجربة أندلسية أم غير ذلك .

لابد لدارس كتاب الزهرة من أن يتجاوز تلك العنوانات الشعرية المسجوعة إلى الحقائق القائمة تحتها، ليستطيع المقارنة بينه وبين كتاب الطرق، وأن تجاوز أيضاً تبدد الموضوع الواحد في عدة فصول، لكي يرد ما تبدد إلى حيز واحد، يقتضيه المنهج الحزمي الدقيق. وسوف يكتشف أن الكتابين يعالجان موضوعات واحدة من مثل الرقيب، القنوع، الرسول، الواشي، الهجر، السلو ... وأن كثيراً من الحقائق في هذه الفصول، وضعه ابن داود، وتابعه فيه ابن حزم، مستعملاً كثيراً من لباقة التأليفية، وعقليته المنطقية." (٢)

(١) عباس، إحسان : رسائل ابن حزم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ج ١ ط ٢ ص ٤٥ .  
(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .

تقديم المجتمع الأندلسي ضمن صورة منقولة بحرفية دون تزييف أو مبالغة وهذا واضح بشكل صريح من بداية الرسالة إذ رفض كل المبالغات الخيالية و جرى خلف الحقيقة والواقع " على سبيل الحقيقة لا متزيذا ولا مفننا"(الطوق ٤) فهو يريد الصدق والأمانة في نقل صورة المجتمع الأندلسي ، وهذا الصدق من أسس المذهب الظاهري الذي يعتمد الصدق وعدم التأويل ونقل الخبر دون تغيير ، فابن حزم صرح في ذلك حين قال : " والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك، والاقتصار على ما رأيت أو صح عندي بنقل الثقات، ودعني من أخبار الأعراب المتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم، وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أتلى بحلي مستعار، والله المستغفر والمستعان لا رب غيره "(١)

كما ذكر سابقا أن ابن حزم اعتمد على نفسه في الاستشهاد بشعره الخاص لكل موقف يتطلب الاستشهاد بالشعر ، ربما الغاية من ذلك أن ابن حزم لا يثق إلا بنفسه وحرصا منه على عدم الوقوع في الخطأ والكذب ، أو لأن ابن حزم لديه مقدرة عالية و مخزون ثقافي كبير يعود لنشأته التي كانت حافلة بالاهتمام بالعلم ورواية الشعر ، وهو يريد إبراز هذه المقدرة في رسالة طوق الحمامة ، ومهما كان السبب فهذا الالتزام بالدقة في الشعر وكذلك النثر ليس إلا سمة واضحة من سمات المذهب الظاهري الذي طغى على منهجه في رسالة الطوق .

هذا المنهج القائم على الوضوح ، ألزم ابن حزم أن يكون دقيقا في رسالة طوق الحمامة ، فلا بد من منهج منظم واضح، و هذا ما ذكره الدكتور إحسان عباس حيث يقول : "من بعد التقيد بهذه الالتزامات أصبح وضع منهج للرسالة أقرب إلى التحقيق؛ ولا بد لذلك المنهج من أن يكون دقيقاً قائماً على تصور واضح مكتمل، لا كمنهج ابن داود الذي لم يؤسس على خطة سليمة، فتعددت عنده الفصول وتباعدت فيها النظائر: ووجد ابن حزم أن رسالته يمكن أن تقسم في ثلاثة فصول وخاتمة: فصل في أصول الحب (وهي عشرة) وفصل في أعراض الحب (وهي اثنا عشر) وفصل في الآفات الداخلة على الحب (وهي تجيء في ستة أبواب ثلاثة منها للأشخاص: العاذل والرقيب والواشي، وثلاثة للأحوال، الهجر والبين والسلو) وخاتمة من فصلين في قبح المعصية وفضل التعفف

(١) (المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر،بيروت ،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م :ج ١، ص ٣٨٥-٣٨٦.

ويبدو بوضوح أن المنهج منطقي، ولكن كتابته على هذا النحو المتدرج تباعد بين الأمور المتوازية ؛ فالوصل من أعراض الحب مثلاً، وضده الهجر وهو آفات الحب، وهما يقفان متباعدين إذا التزمنا بالمقولات الثلاث. لهذا بعد أن قرر ابن حزم هذا الهيكل المنطقي عاد فغير ترتيب الفصول بحيث يتوازي كل موضوع مع ضده إن وجد له ضد. <sup>(١)</sup>

نتيجة لما سبق فإن ابن حزم لم يستطع التجرد من مذهبه الظاهري حتى في كتاباته الأدبية وخاصة في رسالة الطوق ، فاعتمد في رسالته على الوضوح والبعد عن كل غريب ، و القرب من فهم القارئ ، و ابتداع منهج جديد في الأدب ، جعل هذا المنهج لابن حزم الكثير من الخصوم .

### المبحث الثاني : الآراء النقدية بابن حزم:

تعددت الآراء النقدية بابن حزم من مؤيد له ومخاصم ومحايدين ، نذكر أولاً من نقده في عصره سواء كان مخاصماً له أو مؤيداً أو محايداً ، ونذكر الأسباب التي دعت كل واحد من أولئك إلى مواقفهم المتباينة، سنتكلم أولاً عن الخصوم في عصره وأهم السباب التي دعتهم إلى هذه الخصومة .

لعل وجود صفات مميزة في شخصية ابن حزم جمعت الخصوم حوله ، فلقد توافرت في ابن حزم عدة صفات بارزة في شخصيته مما أدى إلى كثرة أعدائه وخصومه ومن هذه الصفات :

١ - أنه رجل كثير الجدل والتقصي والتحقيق في كل أمر يراه أو يسمعه : ويعود هذا لكون قرطبة حاضرة الأندلس ، حيث كانت تعج بالكتب والثقافة والعلم ، وكان ابن حزم ممن توفرت له هذه الظروف ، لذلك نجد المقرئ يقول عنه " : قال أبو محمد بن حزم أخبرني تليد الخصي ، وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة وليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير ، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة ، جلبت إليها بضاعة من كل قطر ، مرجع ذلك إلى صاحب الفضل عبد الرحمن الناصر الذي تولى الحكم نحو خمسين سنة ٣٠٠ إلى ٣٥٠ هـ . وهو الذي تلقب بأمير المؤمنين لما ضعف شأن الخلفاء العباسيين، ثم كان أكثره يرجع

(١) عباس : رسائل ابن حزم ٥٦-٥٧

إلى الحكم الذي تولى من بعده ، قال أبو محمد بن خلدون : كان يبعث في شراء الكتب إلى كل الأقطار رجالا من البحار ويرسل إليهم الأموال لشراؤها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه ، وبعث في كتاب الأغاني لمصنفه أبي الفرج الأصفهاني وكان نسبه في بني أمية ، وأرسل بألف دينار من الذهب العين ، فبعث إليه نسخة منه قبل أن يخرج إلى العراق ..... وجمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط ، والإجادة في التجليد فأوعى من ذلك كله ، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ، ولا من بعده <sup>(١)</sup>

٢ - الجدل العنيف والتمسك برأيه : فقد ثار جدال عنيف بين ابن حزم وفقهاء المالكية ، ولم يستطيعوا رده عن رأيه ومنهجه الظاهري ، فألبوا الناس عليه من عوام وعلماء ، ووصل الأمر إلى تأليب الحكام عليه ، ورغم ذلك لم يثنوه عن موقفه ، بل رد عليهم بمثل ما عملوا معه بل أكثر ، فشن حربا عليهم لا هوادة فيها ، ولم يتحرج في كثير من الأحيان بتكفيرهم ورميهم بالإلحاد . " والمتأمل في معظم كتب ابن حزم الجدلية والفقهية يجدها حافلة بالعبارات النابية والأساليب العنيفة في نقد أقاويل خصومه، ودحض حجج معارضييه . ولعل هذا ما حدا ببعض المؤرخين إلى القول بأن لسان ابن حزم و سيف الحجاج كانا شقيقين! وقد وصف لنا الذهبي تطاول ابن حزم على الأئمة وجرائته على تخطئتهم والطعن فيهم ، : " وقد امتحن هذا الرجل وشدد عليه ، وشرده عن <sup>(٢)</sup> وطنه ، وجرت عليه أمور لطول لسانه واستخفافه بالكبار ، ووقعه في أئمة الاجتهاد ، بأفبح عبارة وأفظ محاوراة و أمنع رد .. " وعاب عليه معاصره مروان بن حيان صلابته في الجدل ، وعناده و التمسك برأيه ، وصرامته في الحكم على آراء مخالفيه ، وعقب على كل ذلك بقوله : " أكثر معايبه- عند المصنف له - جهله بسياسة العلم . " ولا شك أن ابن حزم كان حاد المزاج ، عنيف الخصومة ، صلب الرأي ، ولكن من المؤكد - مع ذلك - أنه لم يكن متجنبا على خصومه ، أو متقولا عليهم ، أو مجادلا لهم بغير علم . ومهما كان من صلابته وصرامته وحدة مزاجه ، فإن مؤرخ سيرته لا يملك سوى الاعتراف له بطول الباع وقوة الشكيمة والقدرة الهائلة على التحدي <sup>(٣)</sup>.

(١) إبراهيم، زكريا: ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د ت) ص ٤١.

(٢) إبراهيم، زكريا: ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي ص ٤٢ .

(٣) إبراهيم، زكريا: ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي ص ٤٢ .

نتج عن تمسك ابن حزم برأيه ، والتطاول على علماء عصره وترميهم بالكفر ، أن ألبوا عليه المعتضد ابن عباد ، فأحرقت كتبه بأمر من المعتضد ابن عباد ، ملك إشبيلية وبتحريض من الفقهاء ، ولما بلغه ذلك أنشد قائلا<sup>(١)</sup> :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمَّنه القرطاس بل هو في

صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبِي وينزل إن أنزل ويدفن في قبري  
دعوني من إحراق رقٍّ و كاغِدٍ وقولوا بعلم كي يرى الناس من

يدري

٣ - كان موسوعي الثقافة : كان مطلعاً على الكتب المترجمة عن اليونانية اطلاعا واسعا ، وخاصة الكتب التي حول فلسفة أرسطو و أفلاطون ، فهو يكاد يتفق مع أرسطو في كثير من آراءه وخاصة رأيه في النفس العلوية ، ويقترّب من بعض الفلاسفة المسلمين المعاصرين له أمثال ابن مسكويه وابن سينا .

٤ - عالم فذ وطالب للعلم بشتى أنواعه ، وخاصة التي تخص مجادلة الخصوم ، " والحق أن كل شيء في الأندلس كان يتجه إلى تكوين عالم جليل ، و إمام كالإمام ابن حزم ، إن توافرت المواهب التي تكون كمواهبه والمترع القوي الذي يكون كمترعه ، وقد توافرت تلك العناصر فكان إمام الأندلس وفقهها ومحي الكتاب والسنة فيها ، و إذا كان صوته قد خفت بعد وفاته فترة من الزمان ، فقد قوي ، واشتد بعد موته بنحو قرنين ، ولا يزال يدوي في أرجاء الأرض الإسلامية "<sup>(٢)</sup>

كل تلك الصفات كانت السابقة الذكر ، جلبت لخصوم لابن حزم ، سواء كان ذلك حسدا لكونه عالما فذاً ، أو بسبب عدم اكتراثه لنقده اللاذع لمخالفيه في المذهب والآراء وخاصة الفقهية ، ومهما يكن فإن هذه الخصومة ليست إلا دليلاً على عبقريته ومنزلته الرفيعة ، لأنه لا ترمى بالحجارة إلا الشجرة المثمرة .

**المؤيدون :**

أولاً : الحميدي وهو من تلاميذه المخلصين الذين حفظوا علمه ومذهبه يقول : "كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متفنناً في علوم جمة، عاملاً، بعلمه زاهداً في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله في

(١) ياقوت : معجم الأدباء ص ٢٥٢-٢٥٣

(٢) أبو زهرة ، محمد ، ابن حزم حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٧م ، ص ١٢٦ .

الوزارة وتدبير الممالك، متواضعا ذا فضائل جمة وتوالييف، كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئا كثيرا وسمع سماعا جما، وأول سماعه، من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور، قبل الأربعمائة، وألف في فقه الحديث كتابا كبيرا سماه كتاب "الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة، لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع" أورد فيه أقوال، الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة عليها والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح، والسقم بالأسانيد وبيان ذلك كله وتحقيق القول فيه، وله كتاب الأحكام في أصول الأحكام في غاية التقصى وإيراد الحجاج، وكتاب، الفصل في الملل والأهواء والنحل، وكتاب في الإجماع ومسائل على أبواب الفقه، وكتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض، وكتاب "إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل" وهذا مما سبق إليه، وكذلك كتاب "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية" فإنه سلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب المخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله في ما علمنا، وما رأينا مثله في ما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين، مولده في ليلة الفطر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بقرطبة، ومات بعد الخمسين وأربعمائة، وكان له في الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل "أيضا : وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وشعره كثير...ومنها في الاعتذار عن المدح لنفسه :

ولكن لى في يوسف خير أسوة      وليس على من انتسى بالنبى ذنب  
يقول وقال الحق والصدق إنني      حفيظٌ عليمٌ ما على صادق عتب  
و له من أخرى (الطويل) :

مناي من الدنيا علوم أبثها      وأنشرها في كل باد وحاضر  
دعاءً إلى القرآن والسنن التي      تناسى رجالٌ ذكرها في المحاضر  
وقال أيضا ما رأينا مثله مما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه قال أنشدني لنفسه<sup>(١)</sup>:

(١) الحميدي ، الجذوة ، ص ٤٤٩-٤٥٠-٤٥١

فروحي عندكم أبدا مقيم

لئن أصبحت مرتحلا بجسمي

له سأل المعاينة الكليم

ولكن للعيان لطيف معنى

**ثانيا:** ابن العماد الحنبلي ، قال فيه : كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب<sup>(١)</sup>.

**ثالثا:** أبو حامد الغزالي قال فيه : "وجدت في أسماء الله تعالى كتابا لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه ، انتهى باختصار"<sup>(٢)</sup>

**رابعا:** أبو القاسم صاعد بن أحمد"وقال صاعد في تاريخه: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار، أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليه نحو أربعمئة مجلد ،نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبي"<sup>(٣)</sup>

**خامسا:** ابن خلكان ، قال فيه :كان حافظا عالما بعلوم الحديث مستتبطا للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متفنا في علوم جمة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك متواضعا ذا فضائل وتآليف كثيرة وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئا كثيرا وسمع سماعا جما وألف في فقه الحديث كتابا سماه كتاب الايصال إلى الفهم، وكتاب الخصال الجامعة نحل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين وله كتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض وكتاب اظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والإنجيل وبيان ناقص ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل، وهذا معنى لم يسبق إليه وكتاب التقريب بحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة وكان له كتاب صغير سماه نقط العروس جمع فيه كل غريبة ونادرة<sup>(٤)</sup>.

**سادسا:** قال محمد صديق حسن خان القنوجي: "...كان متفنا في علوم جمة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير

(١) الحنبلي، ابن العماد، شذرات من الذهب ٣-٢٩٩، تحقيق محمود الأرناؤوط - دار ابن كثير ، ط١، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ص ٢٩٩ ج ٣  
(٢) المقرئ ، أحمد بن محمد ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ٢-٧٨  
(٣) القاضي ، أبي صاعد بن أحمد الأندلسي: طبقات الامم ، تحقيق :حياة علوان ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥ م ص ٩٩، ٩٨  
(٤) ابن خلكان ، وفیات الأعيان و أبناء الزمان ، ت إحسان عباس ، بيروت (د.ت) ٣/٣٢٥-٣٣٠.

الملك متواضعا ذا فضائل جمة وتواليف كثيرة، ألف في فقه الحديث كتابا سماه الايصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين والحجة لكل طائفة وعليها وهو كتاب كبير ... وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه فنشرت عنه القلوب واستهدف فقهاء وقته فتمالؤا على بغضه وردوا أقواله وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه فأقصته الملوك وشردته عن بلاده..<sup>(١)</sup>.

**سابعا:** قال ابن بشكوال: "كان أبو محمد اجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة"<sup>(٢)</sup>

### المحايدون :

في هذا القسم وقف بعض معاصرو ابن حزم موقفا محايدا ، رغم اختلافه معهم بالرأي ، ونقدتهم له لكنهم بقوا محافظين على مستوى أخلاقي يليق بمكانتهم كعلماء ، نذكر منهم العلامة الحافظ " أبو عمر بن يوسف بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي " أحد الأعلام والتصانيف الكثيرة .

يدخل في هذا الباب المحاييد ابن حيان الذي قوم ابن حزم بطريقة أقرب ما تكون إلى العدل وقد عزا ابن حيان ما أصاب ابن حزم من الفقهاء إلى أنه " من الحسد الذي لا دواء له ، لأن أزهد الناس في العالم أهله " .

يعقب الدكتور – محمود علي مكي ، على رأي ابن حيان في ابن حزم فيقول : " ولسنا نعلم أحدا عرف كيف يغوص على حقيقة ابن حزم وقيمة جهده وما له وما عليه كما فعل ابن حيان " والحقيقة أن ابن حيان لم يخل من حسد على ابن حزم ، كما أنه ذو طبيعة هجاء لكنه حاول الحفاظ على أخلاق العلماء ، في خلافه مع ابن حزم ، وتلك كانت الميزة التي كان يسعى إليها ابن حزم في علاقته بمعاصريه<sup>(٣)</sup>.

(١) القونجي ، صديق :ابجد العلوم ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ص ١٤٧ و ١٤٨

(٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢/ص ٦٠٥

(٣) الحسيني ،ياسر محمد ياسين البدري :أقمار في سماء الأندلس،دار الكتب العلمية ،ص ٧٩ ، ٢٠١١



في الختام يتضح أن ابن حزم كان مدرسة عظيمة وكبيرة ، نافحت عن الحق ، و  
سعت لبناء مجتمع صاحب خلق ، إلا أن هذه المدرسة لاقت الويلات ، جلبت له  
الخصوم الكثر ، ولكن هذه هي طبيعة البشر ، وكما يقول المثل : أزهد الناس في  
العالم أهله .